المحاضرة الأولى: نشأة اللغة وأهم خصائص لغة القرآن الكريم.

أولا: التعريف اللغوي والاصطلاحي للغة.

أ: تعريف اللغة لغة.

ورد في لسان العرب أن: " **لغا**: اللَّغْو واللَّغا: السَّقَط وَمَا لَا يُعتدّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وَغَيْرِهِ وَلَا يُحصَل مِنْهُ عَلَى فَائِدَةٍ ولا نَفْعٍ. التَّهْذِيبُ: اللَّغْو واللَّغا واللَّغْوَى مَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ غَيْرَ مَعْقُودٍ عَلَيْهِ... **واللُّغَة**: اللِّسْنُ، وحَدُّها أَنها أَصوات يُعبِّر بها كل قَوْمٍ عَنْ أَغراضِهم، وَهِيَ فُعْلةٌ مِنْ لَغَوْت أَي تكلَّمت "[1].

مما سبق يمكن القول أن مادة **اللغة** تدور حول: ما يلهج به لسان القوم للتعبير عن أغراضهم ومقاصدهم.

تعريف اللغة اصطلاحا.

تنوعت عبارات المعرفين لمصطلح اللغة ومن أهمها ما يأتي:

أ: تعريف ابن جنّي:" أما حدها: فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[2].

وهذا التعريف يؤكد على: [3]

- اللغة ظاهرة من الظواهر الصوتية.
- اللغة لها وظيفة اجتماعية، لكونها أداة للتواصل والاتصال بين أفراد المجتمع، ووسيلة لتعبيرهم عن حاجاتهم وأغراضهم.
- اختلاف اللغة باختلاف المجتمع.

ب: تعريف فريحة أنيس:" ظاهرة سيكولوجية، واجتماعية، وثقافية، ومكتسبة، لا صفة بيولوجية، ملازمة للفرد، وتتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية، واكتسبت عن طريق

---

[1]: لسان العرب – ابن منظور – مادة (ل غ ا) – ج: 15 – ص: 250 وما بعدها.

[2]: الخصائص – ابن جنّي – ص: 34.

[3]: اللغة العربية: نشأتها ومكانتها في الإسلام وأسباب بقائها – نور الله كورت وميران أحمد أبو الهجاء – 2015م – العدد:6 – ص: 132.

الاختبار معاني مقررة من الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم، وتتفاعل" [4].

بالنظر إلى ما سبق من تعريفات يمكن القول أن اللغة عبارة عن أصوات يتواصل بها الإنسان مع بني جنسه كأداة للتعبير عن أغراضهم وحاجاتهم.

ثانيا: أصل اللغة.

شغلت قضية أصل اللغة وبدايتها عقول الباحثين في مجال الفلسفة والعلوم الإنسانية منذ عهود بعيدة؛ وقدموا تفاسير متعددة وأدلة متباينة لنشأة اللغة، وقد تبلور من خلال هذا الجدل الدائر على مدى قرون عديدة، ثلاث نظريات رئيسة تتمثل فيما يأتي: [5]

-1 نظرية التوقيف أو الإلهام الإلهي.

-2 نظرية التواضع أو النظرية الاصطلاحية.

-3 نظرية محاكاة الأصوات الطبيعية.

أولا: نظرية التوقيف أو الإلهام الإلهي.

ويقصد بالإلهام أن يخلق الأصوات والحروف بحيث يسمعها واحد أو جمع، ويخلق لهم العلم بأنها قصدت للدلالة على المسميات. [6]

ومن أشهر من قالوا بنظرية الإلهام الإلهي أو التوقيف أبو علي الفارسي وابن حزم الأندلسي، واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ**

---

[4] :نظريات في اللغة – فريحة أنيس – بيروت – ط.2 – 1981م - ص: 41.

[5] : منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة – عبد المجيد الطيب اعمر – رسالة دكتوراه – إشراف: بكري أحمد الحاج – جامعة أم درمان –2010م - ص: 18.

[6] : مبدأ اللغات(دراسة أصولية نقدية) – عبد الله بن علي بن محمد – مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة – العدد: 56 –1433هـ - ص: 321.

فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ).(البقرة – الآية:31). [7]

ثانيا: نظرية التواضع أو النظرية الاصطلاحية.

وأما الاصطلاح فبأن يجمع الله دواعي جمع من العقلاء للاشتغال بما هو مهمهم وحاجتهم من تعريف الأمور الغائبة التي لا يمكن الإنسان أن يصل إليها، فيبتدئ واحد ويتبعه الآخر حتى يتم الاصطلاح؛ بل العاقل الواحد ربما ينقدح له وجه الحاجة وإمكان التعريف بتأليف الحروف فيتولى الوضع ثم يعرف الآخرين بالإشارة والتكرير معها للفظ مرة بعد أخرى، كما يفعل الوالدان بالولد الصغير وكما يعرف الأخرس ما في ضميره بالإشارة. [8]

ثالثا: نظرية محاكاة الأصوات الطبيعية.

يرجع أنصار هذه النظرية أصل اللغة إلى محاكاة أصوات الطبيعة.
يقول ابن جني: " ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب، وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل"[9].

خلاصة:

لعل الذي تؤيده الأدلة، وتطمئن له النفس أن أصل بعض اللغات ومبدؤها توقيف من الله تعالى، وبعضها الآخر اصطلاحي حدث بالمواضعة.

ثالثا: اللغة العربية وأهم خصائصها.

اللغة العربية لغة إنسانية حية، لها نظامها الصوتي والصرفي والنحوي والتركيبي، كما لألفاظها دلالاتها الخاصة بها؛ وقد رأى العلماء أن كل خروج عن هذا النظام اللغوي المتكامل يعد لحا،

---

[7] : ينظر: منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة – عبد المجيد الطيب اعمر – ص: 18.

[8] : المستصفى من علم الأصول – أبو حامد الغزالي – ت: أحمد زكي حماد – د.ط – د.ت – ص: 181.

[9] : الخصائص – ابن جني – ص: 47.

سواء أكان هذا الخروج بخلط الكلام بلغة أخرى، أم باستعمال اللفظة في غير موضعها، أم في مخالفة أي عنصر أساسي من عناصر كيانها اللغوي التي يميزها عن غيرها من اللغات الإنسانية. [10]

ثانيا: خصائص اللغة العربية.

لقد حازت لغة القرآن الكريم على خصائص وميزات بانت بها عن غيرها من اللغات لعل أشهرها ما ذكره الجاحظ في قوله:" والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان "[11].

أ: سعة المفردات.

مما أثرى قاموسها بهذه المفردات الواسعة سنة العرب في تسمية الشيء الواحد بأسماء كثيرة وعديدة، ومن أمثلة ذلك : **تسمية السيف والأسد والرمح والعسل والحية...** ، حيث يقول ابن فارس:" وممّا لا يمكن نقْله البتَّةَ: أوصافُ السيف والأسد والرمح وغير ذَلِكَ من الأسماء المترادفة، ومعلوم أن العَجَم لا تعرف للأسد غير اسم واحد، فأما نحن فنُخرج لَهُ خمسين ومائة اسم "[12]

ب: التخفيف.

ويعنى به التخفيف في الحروف، وهي ميزة تبين بها عن غيرها من اللغات؛ إذ تعتمد العربية على الأصول الثلاثية – وهي الغالبة – ثم الرباعية فالخماسية، ومن أهم مظاهر التخفيف فيها ما يأتي:

- **الجمعَ بَيْنَ السَّاكنَينِ.**

---

[10] : اللغة العربية: نشأتها ومكانتها في الإسلام وأسباب بقائها – نور الله كورت وميران أحمد أبو الهجاء – ص: 137.

[11] : البيان والتبيين – الجاحظ – ج:3 - ص: 281.

[12] : الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها – أحمد بن فارس – ت: أحمد حسن بسج - دار الكتب العلمية – ط.1 – 1997م - ص: 21.

ومنه قولهم: " يَا حارِ " ميلاً إِلَى التخفيف.

- **قلب الحروف عن جهاتها.**

نحو قولهم: " ميعاد " وَلَمْ يقولوا " مِوْعاد " وهما من الوعد، إلاَّ أن اللفظ الثاني أخفُّ.

- **تخفيفُ الكلمة بالحذف.**

نحو " لَمْ يَكُ " و " لَمْ أُبَلْ " ومن ذَلِكَ إضمارهم الأفعال، نحو " امرأ أتقى الله " و أمرَ مُبكياتِكِ، لا أمرَ مضْحكاتِكِ .

- **شيوع الأصول الثلاثية وغلبتها.**

يقول ابن جني:" ...وذلك أن الأصول ثلاثة: ثلاثي، ورباعي، وخماسي، فأكثرها استعمالا، وأعدلها تركيبًا الثلاثي... فتمكن الثلاثي إنما هو لقلة حروفه " [13].

ج: الاشتقاق.

وقد عرف الجرجاني الاشتقاق بقوله:" نزع لفظٍ من آخر، بشرط مناسبتهما معنىً وتركيبًا، ومغايرتهما في الصيغة"[14]؛ وقد بين لنا ابن السراج (316هـ) أهمية الاشتقاق يقوله:" ما الغرض في الاشتقاق؟ ولم وقع في الكلام؟ وما الحاجة إليه؟ الغرض في الاشتقاق أنه به اتسع الكلام، وتصرف في دقيق المعاني، وقد بان بعض ذلك، ولو جمدت المصادر، وارتفع الاشتقاق في كل الكلام لم يوجد في الكلام صفة لموصوف، ولا فعل لفاعل "[15].

د: الإعراب.

---

[13] : الخصائص – ابن جني - ص: 57.

[14] : التعريفات – الجرجاني – ص:27.

[15] : رسالة الاشتقاق – أبوبكر محمد بن السري السراج – ت: محمد علي الدرويش ومصطفى الحدري – د.ط – د.ت - ص: 28.

- يقولون: هذا غلاماً أحسن منه رجلاً" يريدون الحالَ في شخص واحد، ويقولون: "هذا غلام أحسنُ منه رجل" فهما إذاً شخصان.
- وتقول: " كم رجلاً رأيتَ ؟ " **في الاستخبار** و" كم رجلٍ رأيتَ " في الخبر يراد به التكثير.
- و" هن حَوَاجُّ بيتِ الله" إذا كنّ قد حججن؛ و" حَوَاجُّ بيتِ الله " إذا أردْن الحجَّ.
- ومن ذلك "جاء الشتاءُ والحَطَبَ" لم يُرِدْ أنَّ الحطب جاء، إنما أراد الحاجة إليه، فإن أراد مجيئَهما قال: "والحطبُ". وهذا دليل يدل على ما وراءه.

هـ: الإيجاز.

من خصائص العربية القدرة على التعبير عن المعاني الكثيرة بأقل الألفاظ، وهذا سر بلاغتها وعلو كعبها بين اللغات الأخرى، والعرب تقول الإعجاز في الإيجاز؛ والأمثلة الآتية شاهد على ذلك: [16]

[16] : ينظر: منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة – عبد المجيد الطيب اعمر – ص: 234 – 235.